

المخطوطات التراثية في غرب إفريقيا. مشكلاتها وكيفية حمايتها

د. كمارا عباس¹

المستخلص

إن المقصود بالمخطوطات التراثية الإسلامية هنا هو التراث الإسلامي الذي كتبه العلماء الإفريقيون الوطنيون بالحرف العربي في الدول الإفريقية جنوب الصحراء، وهو ينقسم إلى قسمين. أحدهما المؤلفات والتراجم بالحرف العربي. والآخر في معاني القرآن الكريم وتفسيره باللغات المحلية مثل الهوسا والفلاندي والماندنكا وولوف والصوصو وغيرها من اللغات الوطنية الكبرى المنتشرة في غرب إفريقيا. تُحفظ للرئيس السنغالي الأسبق، ليبولد سيدار سينغور، مقالته: "إذا علمت أن شيخاً إفريقياً قد تُوي في فاعلم أن مكتبة كاملة قد اختفت² في إشارة منه إلى غنى الموروث المحلي، الشفاهي والمتناقل والمكتوب. وقال أحد المهتمين بالمخطوطات الإفريقية: "إذا اختفى مخطوط واحد في تمبكتو، يغيب معه

¹ استاذ مساعد بمركز يوسف الخليفة لكتابة اللغات بالحرف العربي، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم.

² كمارا عباس، 2015 : 13.

تاريخ حافل بالتألق المعري³.

يتناول الجزء الأول من هذا البحث "المخطوطات التراثية المكتوبة بالحرف العربي في غرب إفريقيا، من حيث النشأة والتطور". أما الجزء فيسلط الضوء على المشكلات التي تواجه المخطوطات وكيفية حمايتها.

Résumé

Certes, l'objectif du patrimoine du scripte islamique, est l'héritage islamique qui fut écrit par les musulmans africains patriotes en écriture arabe dans les pays africains subsahariens, qui se divise en deux parties : L'une, les ouvrages et les traductions en écriture arabe. L'autre, les sens du Coran et son exégèse en langues locales telles que l'haoussa, le poular, le manding, le wolof et le soussou. L'on retient de Léopold Sedar Senghor, l'ex président sénégalais, ceci : « Un vieillard qui meurt en Afrique est une bibliothèque qui se consume », allusion faite à la richesse de l'héritage locale orale (qui se transmet de bouche à l'oreille) et écrit. Un autre concerné disait : « si un seul scripte disparaît à Tombouctou, il emporte avec lui tout un contingent de savoir ».

La première partie de cette recherche aborde « le patrimoine du scripte en écriture arabe en Afrique de l'Ouest, sa naissance et son évolution ». La deuxième partie, quant à elle, éclaire « les difficultés que rentrent ces scriptes et comment faut-il les protéger ».

المخطوطات التراثية المكتوبة بالحرف العربي في غرب

إفريقيا نشأتها وتطورها

انتشرت المخطوطات التراثية المكتوبة بالحرف العربي في غرب إفريقيا لعدة

عوامل. منها مايلي:

دخول الإسلام في إفريقيا

يمثل دخول الإسلام في إفريقيا البداية الحقيقية لنشأة المخطوطات

³ كمارا عباس، الموضع السابق نفسه.

الإسلامية وتطورها في غرب إفريقيا. فالإسلام وما أحدثه من نشاط دعوي وتطور علمي وفكري في غرب إفريقيا أدى إلى قيام نهضة علمية شاملة وازدهار حركة التأليف والتدوين والكتابة وتطورها. وكانت للغة العربية مكانة كبيرة عند العلماء الأفارقة، لكونها لغة الإسلام والمفتاح إلى العلوم الإسلامية. وذلك ما جعل تعلمها والكتابة بها من الواجبات.

قيام الممالك الإسلامية

لما قامت الممالك الإسلامية في إفريقيا اختارت اللغة العربية لغةً رسمية في المعاملات والمراسلات والقضاء، بصفتها لغة الإسلام التي بها يقرأ القرآن، ودون تاريخ إفريقيا بقدر جعل بعض الباحثين يقولون إن شهرة الممالك الإسلامية في إفريقيا تكمن في كثرة ما خلفت من وثائق ومؤلفات وكتابات باللغة العربية. فانتشرت اللغة العربية حتى أصبحت لغة التفاهم المحلية بين قبائل الدولة وسكانها.

قيام الجامعات والمدارس العلمية

إن من أبرز المؤسسات التعليمية التي ازدهر فيها فن الكتابة وصناعة المخطوطات هي جامعة سنكوري في تمبكتو الشهيرة، التي بلغ عدد طلابها خمسة وعشرين ألفاً (25000). وذلك إلى جانب انتشار مدارس تعليم القرآن، والتي بلغ عددها أكثر من ثماني عشرة (18) مدرسة. وفي القرن السابع عشر الميلادي كانت "مدرسة بير"، التي لم تقل أهمية عن جامعة تمبكتو الشهيرة، و"مدرسة كوكي" التي درس فيها كثير من طلبة العلم.

انتشار الحركات الدينية

ساهمت الحركات الدينية في غرب إفريقيا في انتشار اللغة العربية. فقد اختارت أغلب هذه الحركات، مثل حركة الشيخ عثمان بن فوديوي في نيجيريا، اللغة العربية لغةً رسمية في القضاء والفتاوى والعقود والمراسلات.⁴

⁴ محمد العقيد محمد أحمد، د.ت.

اهتمام الأمراء والسلاطين والوزراء باللغة العربية

اهتم الأمراء والسلاطين والوزراء في الممالك الإسلامية باللغة العربية. فأحاطوا العلم والعلماء وطلبة العلم برعايتهم ودعمهم بتخصيصهم الهبات والعطايا للعلماء مقابل جهودهم العلمية والفكرية والتأليف والكتابة باللغة العربية. وكان الملك ينفق بسخاء على عدد كبير من رجال الدين والعلماء والأطباء والقضاة. من أمثلة ذلك الملك كئكن موسى (ت 1337م) والملك أسكيا داود (ت 1583م)، آخر ملوك امبراطورية صنغي، ومحمد رنفا أمير كانو، وعدد من سلاطين امبراطورية كانم وبرنو⁵.

الاهتمام باقتناء الكتب والمخطوطات

في عهد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا كثر الاهتمام باقتناء الكتب والمخطوطات، وتكوين المكتبات العامة والخاصة. ولم يعرف التاريخ أمة اهتمت باقتناء الكتب والاعتزاز بها، كما فعل المسلمون في عصر الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا. فقد كان في كل بيت مكتبة. وكانت الأسر الغنية تتباهى بما لديها من مخطوطات نادرة وقيمة. كما كان بعض التجار يسافرون إلى أماكن نائية لكي يحصل الواحد منهم على نسخة من مخطوط نادر. وكان الخلفاء والأثرياء يدفعون بسخاء على أي مخطوط جديد. لذلك أصبحت تجارة الكتب والمخطوطات أكثر رواجاً وربحاً من غيرها. وكان الخطاطون يبيعون النسخ التي يصنعونها مقابل جرائمات من الذهب⁶.

صناعة الورق وانتشار الوراقة في العالم الإسلامي

كان لصناعة الورق وانتشار الوراقة في العالم الإسلامي دور في انتشار كتابة المخطوطات في غرب إفريقيا، كما ساعد وصول أنواع الورق الجيد إلى هذه المناطق من مدن جنوب أوروبا على ازدهار حركة التأليف في خلال القرنين

⁵ . سيد حامد حريز، دت:

⁶ الخضر عبد الباقي، 2009: 526.

الثامن والتاسع الهجريين⁷.

هجرة العلماء المسلمين من الأندلس

أدت هجرة العلماء المسلمين من الأندلس بعد انتهاء الدولة الإسلامية فيها إلى انتشار العلماء المسلمين في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي، وفي غرب إفريقيا بخاصة. فأسهم هؤلاء العلماء في إحياء الحركة العلمية وانتشار المخطوطات الإسلامية في غرب إفريقيا⁸.

مراكز انتشار المخطوطات التراثية في غرب إفريقيا

تزرخ كثير من دول غرب إفريقيا بكميات هائلة من المخطوطات التراثية المكتوبة بالحرف العربي. أبرزها موريتانيا ونيجيريا والنيجر ومالي والسنغال وبوركينا فاسو وغينيا. تضم ما يقارب خمسة ملايين من المخطوطات، ومن عصور قديمة. ولعل هنالك مخطوطات لم يُهتد إليها بعد. ففي مالي وحدها يبلغ عدد المكتبات الخاصة التي بها المخطوطات قرابة مائة وعشرين (120). منها اثنتان وعشرون (22) يبلغ ما بها مجتمعة مليون مخطوط⁹

المكتبات

في ما يلي تعريف موجز بأهم المكتبات:

في مالي

1. مكتبة الشيخ عبد القادر حيدرة: هي من أشهر المكتبات العائلية في تمبكتو. افتتحت رسمياً للزوار سنة 2000م. تحتضن اليوم أكثر من تسعة آلاف (9000) مادة مطبوعة. يعود أقدم مخطوطاتها إلى القرن التاسع الهجري. ظلت عائلة حيدرة تتوارث هذه المخطوطات منذ ما قبل القرن السادس عشر الميلادي.

⁷. رضوان السيد، 2004.

⁸. الخضر عبد الباقي، 2009: 526.

⁹. محمد العقيد محمد العقيد، المرجع السابق: نفسه.

2. **مكتبة أحمد بابا:** تحولت إلى مركز أحمد بابا، الذي يضم ثلاثين ألف (30 000) مخطوطة.
3. **مكتبة فونديو قاطي:** تضم سبعة آلاف وثمانمئة وعشرين (7028) مخطوطاً،
4. **مكتبة طاهر:** بها أكثر من ألفين وسبعمائة (2700) مخطوط مكدسة بعضها فوق بعض داخل صناديق وأوعية معدنية.
5. **مكتبة الإمام السيوطي:** تحتوي على مخطوطات قيمة، يعود أقدمها إلى القرن الثاني عشر. لكن بها نسخة نادرة جداً من القرآن الكريم يعود تاريخها إلى القرن السادس عشر. سطورها المضيئة مكتوبة بمادة الذهب الخالص. كما تضم المكتبة مخطوطاً نادراً في علم الفلك يشرح حالة الخسوف والكسوف، وحركة دوران الأرض حول الشمس. وذلك إلى جانب مخطوطات أخرى تتناول الرياضيات والتاريخ والطب والفلسفة وغيرها.

في نيجيريا

- في نيجيريا آلاف المخطوطات المكتوبة بالحرف العربي. يجدها المرء في:
1. **المخطوطات الخاصة:** تحتفظ بيوت العلماء الشهيرة بمخطوطات عربية إسلامية. أبرز هذه البيوت:
 - (أ) بيت وزير صكتو، الوزير جنيد،
 - (ب) بيت الشيخ محمد ناصر الدين بمدينة كانو الذي به أكثر من ألفي مخطوط،
 - (ج) قصر أمير كانو،
 - (د) قصر السلطان أبوبكر بمدينة صوكوتو،
 - (هـ) قصر شيخ برنو سلطان برنو بمدينة ميدو غري.
 2. **المتاحف الوطنية والمكتبات ودار الوثائق:** تحتفظ متاحف الوطنية ودار الوثائق والمكتبات الجامعية والمعاهد المتخصصة والمكتبات العامة والخاصة ببعض

المخطوطات، نحو

- (أ) المتحف القومي بمدينة جوس،
- (ب) المتحف الوطني بمدينة كادونا،
- (ج) دار الوثائق القومية بمدينة صوكوتو في شمال نيجيريا،
- (د) مكتبة جامعة إبادن،
- (هـ) المعاهد المتخصصة مثل معهد البحوث الإفريقية بجامعة إبادن.
- (و) المكتبات العامة والخاصة¹⁰.

المشكلات التي تواجه المخطوطات الإسلامية

في غرب إفريقيا وكيفية حمايتها

قسّم الباحثون المشكلات التي تواجه المخطوطات العربية الإسلامية في غرب إفريقيا إلى قسمين، هما المشكلات المباشرة والمشكلات غير المباشرة على النحو الآتي:

أولاً: المشكلات المباشرة

تتمثل المشكلات المباشرة في ما يأتي:

الأضرار البيئية والطبيعية

تتمثل الأضرار البيئية والطبيعية في الرطوبة والضوء والحرارة، والتغيرات المناخية من فصل إلى فصل ومن يوم إلى آخر، وما تحدثه هذه التغيرات من اختلاف في درجة الحرارة ونسبة الرطوبة والإضاءة¹¹. تلعب هذه العوامل أدواراً واضحة في تلف المخطوطات، على النحو الموضح بإيجاز أدناه:

1. ارتفاع نسبة الرطوبة العالية يؤدي ارتفاع نسبة الرطوبة العالية إلى:

- (أ) امتصاص ألياف السيليلوز لبخار الماء (السيليلوز هي مواد كربوهيدراتية)، مسببة تشوهاً في شكل المخطوطات الورقية

¹⁰ محمد العقيد محمد أحمد، المرجع السابق نفسه.

¹¹ الخديم محمد إمباكي، د.ت.

وضعفاً فى خواص ورقها.

(ب) تكوّن البقع الترابية المائية نتيجة لترسب الأتربة على صفحات المخطوطات وجلوذها مما يؤدى إلى انتشار البقع على النصوص وأعلىها.

(ج) الحموضة فى الأوراق وذلك حين يتحول غاز ثانى أكسيد الكبريت إلى حمض الكبريت، فيساعد على ظهور بقع صفراء وبنية، وإلى تكوّن أكسيد الحديد إن كانت هنالك آثار من الحديد فى الغبار المترسب على المخطوطات.

(د) نمو الحشرات وتكاثرها بتوفر الرطوبة الكافية لها. فيؤدى ذلك إلى انتشار الثقوب والتآكل فى الهوامش والنصوص بدرجة تؤدى إلى تآكل النص.

(هـ) تكسر المخطوطات الجلدية وتلويها حين ترتفع الحرارة ارتفاعاً مفاجئاً.

2. ارتفاع درجة الحرارة العالية

يؤدى ارتفاع درجة الحرارة العالية إلى ما يلي:

(أ) تسهيل التفاعلات الكيميائية المختلفة بالأوراق والجلود .

(ب) فقد المخطوط محتواه المائى، فتجف الأوراق وتصفّر فيسهل تكسرها. وذلك بالإضافة إلى بعض الكائنات الدقيقة المتخصصة فى تحليل مواد كربوهيدراتية، التي تنمو وتتكاثر بارتفاع درجة الحرارة، فتتلف المخطوط.

(ج) التعجيل بتقدم عمر المخطوط مما يؤدى إلى سرعة تدهوره .

3. الضوء

التعرض الشديد للضوء من العوامل الخطيرة التي تلعب دوراً كبيراً فى إتلاف المخطوطات، وإن كان تأثيره أقل من تأثير الملوثات الغازية أو المتغيرات المناخية. يظهر أثر الضوء على المخطوط على النحو الآتى:

(أ) **التأثير المباشر:** يظهر التأثير المباشر في نُقط الأكسدة الضوئية الثلاث، حين يتفاعل الضوء مع شوائب الورق فتظهر بقع صفراء وبنية في أماكن التعرض للضوء.

(ب) **التأثير غير المباشر:** تكون الضوء مصدراً حرارياً فإنه يساعد على ارتفاع درجة الحرارة في المخطوط، فيؤدي ذلك إلى ما تقدم عن تأثير الحرارة على المخطوطات.

(ج) **اضمحلال لون العبر:** إن الموجات القصيرة من الضوء، كالأشعة البنفسجية وفوق البنفسجية، تعمل على اضمحلال لون الأحبار. فالضوء يساعد على تكسير جزيئات مواد كربوهيدراتية بتفاعله كيميائياً مع بعض الشوائب التي توجد في الورق كالأحماض الحمضية والأصماغ معطياً منتوجات ثانوية تؤدي إلى تكسير جزيئات السيللوز وبالتالي إلى ضعف الأوراق¹².

العوامل البيولوجية

تشمل هذه العوامل دور الكائنات الحية في التأثير سلباً على المخطوطات سواءً أكانت هي كائنات مرئية كالحشرات والقوارض، أم كائنات غير مرئية دقيقة كالفطريات والبكتيريا بخلاف الإنسان في إتلاف المخطوطات.

دور الإنسان في تلف المخطوطات

للإنسان دور في التلف الذي يصيب المخطوطات، إما لعدم وعيه الصحي أو لتهاونه واستهتاره أثناء استخدامه المخطوطات أو تداوله لها. وذلك في عدة أمور:

1. تركه أوساخاً وبقعاً على صفحات المخطوط عند استعماله له بيدين متسختين.

2. تدخين الباحث أو القارئ أثناء تعامله مع المخطوط، وذلك لأن التدخين يضيف نسبة من الحموضة تمتصها أوراق المخطوط فتصبح هشة ويسهل

¹² . عبد الفتاح قسم السيد، 2015: 55- 63.

- كسرهما .
3. وضعه علامات على المخطوط أثناء قراءته، وبخاصة حين تكون العلامات بأقلام ذات ألوان تصعب إزالتها. فيؤدي ذلك إلى تشويه شكلي للنص المكتوب .
3. ثني أركان بعض صفحات المخطوطات أو أطرافها ليكون علامة لما بلغه القارئ ووصل إليه فيها. فذلك ما قد يؤدي إلى كسر الجزء المثني وضياعه لأن الورق أو الجلد المكتوب عليه يكون جافاً لقدمه فلا يحتمل الثني. وضياع الجزء المثني يضيع شيء من المخطوط قد يكون مهماً.
4. الضغط على المخطوطات المجلدة أثناء تصويرها للحصول على صورة واضحة واحدة أو أكثر، ما قد يؤدي إلى انضراط عقد التجليد، وتفكك الملازم.
5. جهل أمين مخزن المخطوطات بكيفية وضعها وضعاً سليماً على أرفف المخزن، فيضع المخطوطات ذات الجلود اللينة أوضاعاً غير مريحة لها فتتقوس وتتلف.

القوارض

تلعب القوارض من الفئران والجرذان أدواراً شديدة الخطورة في إتلاف أوراق المخطوطات وجلودها أو أكلها في كثير من الأماكن في غرب إفريقيا، إذ لهذه القوارض قدرات هائلة على قرض كل مكونات المخطوط. تكمن خطورتها في شراحتها وقرضها أوراق المخطوط لا أفقياً ورقة ورقة، وإنما رأسياً ملتزمة المخطوط من أعلاه إلى أسفله ملزمة ملزمة. هذا عدا مخلفاتها القذرة التي تتسبب في بقع سوداء على ما تبقى من المخطوط.

للقوارض قدرات فائقة على الإحساس بالخطر وسرعة الهرب منه، وعلى تحمل اختلافات الحرارة والرطوبة والإضاءة وغير ذلك مما قد يتأثر به غيرها من الكائنات الحية. وهي أيضاً سريعة الانتشار، كثيرة المخابئ. تكمن في شقوق المخازن والمكتبات وفي أسقفها وأرضياتها وجدرانها. بل قد تختبئ بين

المخطوطات نفسها.

الحشرات

تتغذى الحشرات على سطح الورق واللصق النشوي في أغلفة المخطوطات وكعوبها. منها الصراصير و السمك الفضي وحفارة الأنفاق. الأخيرة أشدها فتكاً. ذلك لأنها تحفر ثقباً مستديرة عمودية عميقة تخترق أكثر من ملزمة في المخطوط. تحفر هذه الأنفاق للتغذية أولاً، ولتكون لها مخابئ من أعدائها ثانياً، نحو النمل الأبيض ودودة الكتب. وانتشار ثقبوها وعمقها يضيع كثيراً من نص المخطوط أو كله، أو يكثر الفجوات فيه. هذا عدا تشويه منظره العام. تنقل بعض الحشرات أنواعاً ضارة من الفطريات تحملها على جسمها تنتقل بها بين صفحات المخطوط الواحد وبين مخطوط وآخر. وكثيراً ما تترك بقايا مواد غذائية وفضلات إخراجية منها تنتج عنها بقع على أسطح الأوراق والجلود.

الفطريات

الفطريات من النباتات الدنيئة في المملكة النباتية . وهي خيوط رفيعة جداً يبلغ قطر الواحد منها 1 - 5 ميكرون. تنمو و تنتشر مكونة ما يسمى "الغزل الفطري". تختلف عن النباتات الراقية بأنها لا تحتوى على الكلوروفيل الذي بالنباتات الراقية ويشترك مع غاز ثاني أكسيد الكربون و ضوء الشمس في تكوين غذائها. وحين تتوفر الظروف المناسبة لنمو الفطريات من درجة حرارة (24 ° - 30 ° مئوية) ورطوبة نسبية أكثر من 60%، ووجود المخطوطات كمادة غذائية لها في هذه الظروف سرعان ما ينمو الغزل الفطري، ويتخلل المادة الغذائية (الورقية أو الجلدية) ويقوم بتحليلها وامتصاص العناصر الغذائية منها. وتحتل الفطريات المرتبة الأولى في إتلاف المخطوطات قياساً على باقي الكائنات الدقيقة، بما لها قدرة على تحمل المدى الواسع من درجات الحرارة ونقص الرطوبة.

البكتريا

البكتريا كائنات حية وحيدة الخلية، صغيرة جداً بحيث لا ترى إلا بالمجهر. وهى بالرغم من دقة حجمها المتناهية في الصغر فإنها تتميز بسرعة انقسامها

تكاثرها. من السهل الكشف عن مستعمراتها ذات الألوان المختلفة بالعين المجردة. والبكتريا تكون أيضاً في الهواء بشكل جراثيم يمكن أن تهاجم الأوراق و الجلود كلما سنحت لها الفرصة. لكنها، في إتلاف المخطوطات، أقل ضرراً من الفطريات. وذلك لحاجتها إلى نسبة مرتفعة من الرطوبة أكثر من 90% و درجة حرارة تصل 30° مئوية. تكمن خطورتها في تحليلها للسيليلوز أو الجلود. ولا تظهر إلا عند ارتفاع نسبة الرطوبة، كتسرب قطرات المطر إلى رفوف المخطوطات، أو في الفيضانات والسيول التي تؤدي إلى بلل المخطوطات أو غرقها.

الملوّثات

يتركب الهواء المحيط بنا من الأكسجين و النيتروجين مع وجود بعض الغازات الأخرى. ومع بداية الثورة الصناعية واستخدام الآلة في الوقود وأنواعه ظهر تلوث بيئي خطير يهدد كل ما على سطح الكرة الأرضية. والمخطوطات أشد الماديات تأثراً بهذا التلوث. في ما يلي أهم هذه الملوّثات :

1. **غاز ثاني أكسيد الكبريت:** ينتج غاز ثاني أكسيد الكربون من أكسدة واحتراق المركبات الكبريتية التي في الوقود والزيوت والغاز الطبيعي مما تصدره السيارات و المصانع و الأفران، لذا فإن أوراق المخطوطات حين تمتص هذا الغاز مع ما بها من ماء ممتص من رطوبة الجو، يتحول الغاز المؤكسد إلى حمض الكبريت. وهو من العوامل المدمرة للورق، لأنه يؤدي إلى ارتفاع حموضته فيصير هشاً قابلاً للتكسر و التفتت.
2. **غاز كبريت الهيدروجين:** يتكون هذا الغاز نتيجة للنشاط الصناعي والنشاط البيولوجي الفطري والحيواني. خطورته أقل من خطورة غاز ثاني أكسيد الكبريت لأنه يتفاعل مع فلزات العناصر الداخلية في زخارف بعض المخطوطات فيما عدا الذهب، مشكلاً بقعاً سوداء على هذه الزخارف.
3. **غاز النشادر:** يتكون غاز النشادر نتيجة لإفرازات الإنسان. ويعد مادة ضارة للسيليلوز (وهي مادة تتكون من مواد كربوهيدراتية). ونظراً لتواجد ثاني أكسيد الكبريت في الهواء فإن غاز النشادر يمتصه الجلد والقماش والورق

بما يقلل حموضة هذه المواد بتكوين ملح سلفات الألمونيوم الذي يظهر على شكل ترسبات ملحية على سطح هذه المواد.

4. **الأدخنة:** الأدخنة هي ناتج الاحتراق غير الكامل لأي مادة. تكمن خطورتها في سرعة انتشارها و صعوبة التحكم فيها لأنها تتخلل أرفف مخازن المخطوطات و ترسب ما بها من مواد عالقة على الصفحات مسببة بقعاً عليها وتحدث تفاعلات غير مرغوبة على صفحات المخطوطات.

5. **الغبار والأتربة:** الغبار والأتربة حبيبات صغيرة يحملها الهواء في صورة غبار أو رماد. تلتصق بجلود المخطوطات و تنتشر بين الصفحات حاملة معها جراثيم الفطريات وبويضات الحشرات، التي سرعان ما تنمو وتصيب المخطوطات إذا ما توفرت الرطوبة و الحرارة اللازمتين لنموها. هذا بالإضافة إلى احتواء الأتربة في المدن الصناعية على الكثير من العناصر المعدنية كالحديد الذي يلعب دوراً في انتشار البقع الكيميائية الصفراء أو البنية على صفحات المخطوطات لتأكسده عند توفر الرطوبة اللازمة.

ثانياً: المشكلات غير المباشرة

تتمثل المشكلات غير المباشرة في عدم الاهتمام بالتراث العربي الإسلامي: ويرجع ذلك للجهل بقيمة هذا التراث، كما يعود إلى أسباب سياسية أو دينية أو أحوال مادية، أو غير ذلك، كما تتمثل أيضاً في عدم قيام الجهات الرسمية بمسؤولياتها نحو هذا التراث. وذلك إضافة إلى عدم توفر الأجهزة اللازمة والمواد الضرورية للحفاظ على المخطوطات وصيانتها، وعدم توفر الكوادر المتخصصة بالقدر الكافي. ويضاف إلى ذلك الصعوبات المتعلقة بحفظ المخطوطات، وهي صعوبات لها أكثر من دلالة. كانت السلطات الاستعمارية صاحبة المبادرة الأولى في جمع المخطوطات المتوفرة في غرب إفريقيا وحفظها بطرق منظمة بهدف دراسة المجتمعات الإفريقية.

إن هذه المشكلات التي ذكرت تهدد بضياع المخطوطات المكتوبة بالحرف العربي في غرب إفريقيا، والتي تعتبر من أهم التراث الوطني الذي يعكس الحضارة

الأفريقيّة الإسلاميّة هناك، ويعد جزءاً من التراث الإسلامي العام.

كيفية حماية المخطوطات التراثية

تتمثل كيفية حماية المخطوطات في الآتي:

الحماية من العوامل الكيميائية

لا بد من

1. تنظيف أماكن حفظ المخطوطات دورياً باستعمال ماكينات شفط ذرات الأتربة وما يعلق بها من مواد ضارة.
2. تهوية أماكن حفظ المخطوطات بمرشحات كربونية أو مائية تحتوى على محاليل قلوية للتخلص التام من ثاني أكسيد الكبريت.
3. منع التدخين منعاً باتاً في أماكن حفظ المخطوطات وصلات الاطلاع عليها.

الحماية من العوامل الطبيعية

تتوفر الحماية للمخطوطات من العوامل الطبيعية على النحو الآتي:

1. التحكم في درجة الحرارة ونسبة الرطوبة في أماكن المخطوطات، وذلك باستخدام جهاز تكييف مركزي بحيث تكون درجة الحرارة 18° - 20° مئوية ونسبة الرطوبة 55% - 60%. وحين لا يتوفر تكييف مركزي يُلجأ إلى أجهزة رفع الرطوبة في حالة الجو الجاف ورطوبة أقل من 40%. يعتمد هذا الجهاز على نشر رذاذ بخار الماء الدقيق جداً في الجو الجاف المحيط بالمخطوط. ويفضل أن يكون الماء المستخدم نقياً خالياً من الأملاح. وحين تكون نسبة الرطوبة عالية تُستخدم بعض المواد الكيميائية التي لها القدرة على امتصاص بخار الماء الزائد و تقليل نسبة الرطوبة إلى النسب المطلوبة. من هذه المواد كلوريد الكالسيوم - السيليكا جيل.
2. منع سقوط ضوء الشمس المباشر على المخطوطات سواء أكانت هي في مخزن أو قاعة بحث ومطالعة. ولا بد من ستائر غامقة اللون على أي نوافذ

في أماكنها لتخفيف شدة الإضاءة.

3. توفير إضاءة خاصة داخل المخازن مما لا يؤثر تأثيراً ضاراً على المخطوطات التراثية.

الحماية من العوامل البيولوجية

تتحقق هذه الحماية من العوامل البيولوجية بالتعقيم الدوري لمخازن المخطوطات وقاعات البحث والمطالعة، وبالتعقيم الشامل لجميع المخطوطات المصابة والسليمة. وذلك مع الحماية من العوامل الكيميائية والطبيعية المذكورة أعلاه. إن أفضل وسائل التعقيم هي التبخير بالمواد المعقمة التي تصدر عنها غازات سامة تؤدي إلى قتل كل مخلوق حي داخل أي مخطوط، سواءً أكانت هذه المخلوقات حشرات أو بيضاً أو جراثيم. يُراعى ما يلي عند التعقيم وبعده:

1. استعمال كمادات كيميائية مرشحة للغازات السامة.
2. استعمال قفازات طبية أثناء العمل بالتعقيم.
3. تجنب استخدام المبيدات بالقرب من مصادر حرارية خشية اشتعالها.
4. غسل الوجه واليدين بالماء والصابون عند الانتهاء من التعقيم.
5. إغلاق المخازن لأربع وعشرين ساعة بعد تعقيمها.

المراجع

- بسام داغستاني، 1997م، طرق صيانة المخطوطات من العوامل المؤثرة بها. الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة (إيسيسكو).
- خديم محمد إمباكي، : (http://news.bdr130.net/news7123.htm).
- الخضر عبد الباقي، 2009م، "التراث الإفريقي العربي بين الإندثار ومحاولات الإنقاذ"، الوعي الإسلامي، العدد رقم 526.
- رضوان السيد، 2004م، "ملحق تراث"، في جريدة الحياة، بلندن.
- سيد حامد حريز، د ت، "وحدة الحضارة الإسلامية" موقع معهد مبارك قسم الله
www.mubarak-inst.org/stud_reas/research_view.php?id=

عبد الفتاح قسم السيد، 2015م، المخطوطات التراثية مفهومها وتطورها وأهميتها.

كمارا عباس، 2015م، "المخطوطات التراثية نماذج من غرب إفريقيا"، محاضرات مطلوبات الجامعة.

محمد العقيد محمد أحمد، د ت، "قراءة في المخطوطات العربية الإسلامية الإفريقية"، afrikaar.com/5332.